التوحيد في ديانة الشنتو الحديثة

آسولف لاندي (Aasulv Lande)

الكلمات الأساسية: التوحيد– أوتشيمورا كانزو– التحديث الياباني – الشنتو– اللقاء الشنتوي المسيحي.

المستخلص

مر أوتشيمورا كانزو، الزعيم المسيحي السابق، بتجربة الشنتو قبل قرن من الزمان على أنها خبرة مشركة مزعجة، وليس هناك من سبب يدعو إلى الشك بصدق خبرته وفكره، لكن كانت هناك، في رأيي، ديانة شنتو توحيدية في زمانه، وقد بدلت صفتها لاحقاً، ولكن على الشنتو أن تُرى، بالأحرى، في رأيي، على أنها زمرة من "العقائد الدينية التوحيدية الشمولية الضيقة" . تضم القوة الإلهية العليا في ديانة الشنتو الحديثة بعض القوى الكونية، وترفض غيرها، وقد برز في بداية الحداثة توحيد يتمحور حول الإمبراطور، ولكن برؤية عالمية، وحافظت الشنتو على توحيدها الشمولي بعد مرسوم الشنتو الصادر عام 1945م، وأدي جعل إجلال الإمبراطور أمرا شخصيا إلى تقليص الشنتو إلى قاعدة معيارية للشعب الياباني مع دلالة عالمية جامعة، وتكسو شنتو ما بعد الحداثة عالميتها بأثواب، متنوعة متجاوزة حدود القومية اليابانية، وفي رأي أن الشنتو الحديثة ليست بمشركة إلا أن عالميتها التوحيدية الشاملة قد تحولت إلى مستوى فردي وروحي بحت.

اعتبر التوحيد موضوعاً مهماً خلال فترة التحديث في اليابان، كان ذلك يعني، ضمن سياقات دينية مختلفة، تجديداً للمبادئ الأساسية وتأسيسها في الأخلاق والتعليم: كان للتوحيد تأثير على كل الأديان: الشنتو والبوذية والمسيحية. وكان عليها أن تطور مقدرتها التوحيدية، كان التوحيد مرتبطاً ارتباطاً حميماً بفكرة التحديث القائمة على فكرة الحقيقة العلمية الواحدة الثابتة.

تجربة الشرك في الشنتو عند أوتشيمورا كانزو Uchimura Kanzo

أستشهد فيما يلي بمقتطف من كتابات المنادي بالتحديث المسيحي أوتشيمورا كانزو (1861م– 1930م): "آمنت إيماناً صادقاً بأن لكل معبد من المعابد التي لا تحصى، إلهه، إلهه الغيور على سلطة المعبد، المستعد للاقتصاص من أي متجاوز لا يروق له، كان الإله الذي أجللته أكبر إجلال

وأحببته أعظم حب هو إله العلم والكتابة، والذي راعيت فريضة الاحتفال به بإخلاص في الخامس والعشرين من كل شهر بما يتناسب من القداسة والتضحية، كما أن هناك إلهاً يشرف على زراعة الأرز، لم أتوقف عن التضرع لإله الأرز هذا لتجنيب بيتي الكوارث من حريق أوسرقة، كان هناك إله آخر كنت أخافه أكثر من سائر الآلهة الأخرى، كان رمزه الغراب الأسود، وكان هو الإله المطَّلع على أعمق مكنونات القلب، وهناك إله يفرض عليّ الامتناع عن تناول البيض، وآخر يفرض عليّ الامتناع عن تناول الفاصوليا، وقد دخل العديد من لذائذي الصبيانية ضمن قائمة المحرمات حتى بعد أن أديت كل نذوري، تزايد عدد الآلهة المتوجب عليّ عبادتها يوما بعد يوم، إلى أن وجدتُ روحي الصغيرة عاجزة تماماً عن إرضاء جميع الآلهة حتى جاء الغوث في النهاية."[1]

بعد أن روى الكاتب باختصار قصة تحوله الديني تابع قائلاً: "بدت الميزة العملية في الإيمان الجديد جلية لي في الحال، فقد تعلمت أن هناك إلهاً واحداً فقط في العالم، لا العديد من الآلهة– ما يفوق الثمانية ملايين _ كما كنت أعتقد سابقاً، لقد أهوى التوحيد المسيحي بفأسه على جذور كل معتقداتي الخرافية فقضى عليها..... لقد جعلني التوحيد إنساناً جديداً، فاستأنفت تناول البيض والفاصوليا."[2]

إن كان ثمة ما تبينه هذه الفقرة المقتبسة من كتابات أوتشيمورا كانزو فهو مدى أهمية فكرة التوحيد في اليابان التي تصب جهودها الآن على التحديث، كما أنه ينطوي على أن ديانة الشنتو كانت تمثل، في رأي أوتشيمورا، ما هو عكس التوحيد وذلك بإقرارها بآلاف مؤلفة من الآلهة: "ثمانية ملايين". كانت الشنتو ديانة مشركة ، وهذا ما كان يعني وجود عدد من الآلهة الذين لم يندمجوا في مبدأ واحد، والذين سيطروا جميعاً على قطاع معين من الواقع.

لكن يظل بمقدور المرء التشكيك فيما إذا كان رأي أوتشيمورا رأياً صحيحاً في كل المجالات، يمكن للمرء أن يشكك بشكل خاص فيما إذا كان تعبير "الشرك" يعطي بالضبط صورة مناسبة عن مجموع الآلهة الرسمية عند الشنتو، وسوف أقدم فيما يلي تفسيراً أبحث فيه عن المواقف التوحيدية داخل تقاليد الشنتو، خاصة في سياق اليابان الحديثة عندما ظهرت أفكار موحدة ومتكاملة بشكل أكبر لتحتل الصدارة.

التوحيد في مواجهة المسيحية والشنتو

سوف أميز بين بعدين في التوحيد تم نقلهما إلى اليابان عن طريق الدعوة المسيحية، تضمن التوحيد إيماناً حصرياً بالله، ولكنه تضمن أيضاً إيماناً جامعاً بالله أيضاً، كان الله هو الإله الحصري، ولكنه كان أيضاً الخالق والحاكم النهائي لكلِ ماهو موجود، تُرى هل كانت ديانة الشنتو تضم توحيداً أو على الأقل هل كان من المحتمل أنها طورت أنماطاً مختلفة من التوحيد أي طورت توحيداً "لا حصرياً" أو حتى توحيداً "لا عالمياً"؟

عند النظر إلى أول هذين البعدين أو الجانبين في التوحيد المسيحي: أرى في ديانة الشنتو، خلافاً للتوحيد الذي تمثله المسيحية، والذي أراه على أنه "حصري"، "توحيداً شمولياً"، ويقر هذا "التوحيد الشولي" بإله واحد سام ويجله؛ لكن قوى إلهية أخرى يتم الإقرار بها أيضاً ويتم احترامها، لكنها مشمولة في الألوهية العليا أو تابعة لها، و قد تكون في مآل الأمر متعاونة أو داعمة بما يتفق مع المبادئ المعترف بها لمجموع الآلهة، سيكون لدى "التوحيد الحصري" المسيحي، وربما "التوحيد الشمولي" عند الشنتو معا مركز استجماع للسيادة ، لكن بالإمكان رؤيتهما على أنهما طرفا نقيض على مسارٍ واحد في الفكر التوحيدي بدءًا من "السيادة الحصرية" ليصبحا شموليين بشكلٍ متزايد.

السيادة الحصرية(الله) ..... السيادة الشمولية (تراتبية إلهية)

عودة إلى قبول أوتشيمورا لديانة الشنتو، لم يكن "التوحيد الشمولي" جزءًا من تصوره، لقد رأى في عبادات ديانة الشنتو عرضاً لظواهر موازية وغير متناسقة؛ بعبارة أخرى رأى أنها ظواهر مشركة.

لابد للمرء، على أي حال، من أن يعي أيضاً بعداً آخر في الخريطة التوحيدية، قد يلحظ المرء إذا توحيداً صحيحاً على الصعيد العام universally ضمن اليهودية والإسلام والمسيحية، ووفقاً لهذه التقاليد traditions الثلاثة فإن الله هو الله بالنسبة لأي دين وبكل الاعتبارات، فللكون قاعدة إلهية متحدة، قد ينبذ المرء في مآل الأمر آلهة العقائد الأخرى لأنها تمثيل زائف للإله الجامع الواحد الحق، أو ربما تجاوز المرء الآلهة المجسَّمة للمعتقدات الإيمانية المتنوعة ليستعمل عبارة مثل "الإله الحقيقي"، كما يفعل جون هيك (John Hick) الفيلســوف الديني البارز، لكن قد تعمل الصور المتنوعة، في مثل هذه الحالات، كنوافذ لصورة الله الحقيقية، مُظهرةً الله الحق بوضوح ما، لكن تبايناً مع هذه الأنماط من التوحيد الجامع قد يتصور المرء "توحيداً ضيقاً" يعني به منظوراً توحيدياً بشكلٍ أساسي، ولكنه ليس مقصوراً تماماً على مجال دين المرء أو على معبده أو على مزاره الديني الخاص به، ويمكن للمرء أن يجادل ضمن ديانة الشنتو بأن المقامات الدينية

الفردية، أي شنتو إيسيه (Shinto of Ise) وشنتو إيزومو(Shinto of Izumo)، وربما جمعية مزارات الشنتو اليابانية العديدة، جينجا هونتشو (Jinja Honcho) أي مزارات هونتشو، تفسر "التوحيد الضيق"، وتمثل شنتو إيزومو، حيث يتم تبجيل الإله أوكونينوشي (Okuninushi) على أنه الإله الأسمى و شنتو إيسيه (Ise Shinto)، الذي يروج للإلهـــة أماتيراسو- نو- ميكوتو (Amaterasu no Mikoto) تمثل طقوس" التوحيد الضيق"، إنها معنية بشكل أساسي بحقل خاص من الواقع، بحقل إقليمي أو بجزءٍ آخر من الكل، لكن "خطوط الحدود" لهذه الحقول رمادية غير واضحة المعالم، ربما تتخذ طقوس العبادة منحى يتجاوز حدودها، ويمكن لعدد من المزارات الدينية في ديانة الشنتو، إذا نظر إليها بشكلٍ إفرادي، أن تعتبر "توحيدية" بهذا المعنى المحدود المخفف، أنا أستعمل تعبير "التوحيد الضيق" في مثل هذه البنى التوحيدية[3].

يُظهر خطٌ يوضح تغايرات المجالات حيث يوضح توحيد المرء تشابهات التباين بين التوحيد الحصري والتوحيد الشمولي:

التوحيد الصحيح على الصعيد العامUniversally ..... التوحيد الصحيح في مجال ضيق

لا يتم أخذ هذا التباين بين التوحيد "الجامع" والتوحيد "الضيق" بالاعتبار في القول المستشهد به من أوتشيمورا كانزو، إلا أنه من الممكن إلى حد كبير قبول هيكلية توحيدية بقدر ما يتعلق الأمر بدين المرء أو بإيمانه، مع الإقرار بأن العالَم المتدين قد يكون أعظم، مع ذلك يمكن للمرء على أقل تقدير، عن طريق تأمين علاقات إلهية أخرى لأناس وأديان تقع خارج إيمانه، أن يشارك في معتقد يتسم بصفة جامعة أو صفة للألوهة التي يبجلها المرء.[4]

التطورات التوحيدية التي قام بها هيراتا أتسوتانيه (Hirata Atsutane) وفي حركة تايكيو سيمبو (Taikyo Sempu).

كانت مسألة التوحيد قد طرحت في لقاءات مبكرة لديانة الشنتو مع الفكر المسيحي، وهناك نقاش حول تأثير التوحيد المسيحي على فكر هيراتا أتسوتانيه[5]. يسمي إيشيدا إيتشيرو Ishida Ichiro فكر هيراتا أتسوتانيه "ديانة الشنتوالشنتوية المسيحية الجامعة لمذاهب ومعتقدات مختلفة" وهو يجادل بأن أتسوتانيه يصوغ الإله أمينوميناكانوشي – نو – كامي (Amenominakanushi no Kami) على نحو إله المسيحية على أنه الخالق وحاكم كل الأشياء، الذي يوزع المكافآت والعقوبات لبني البشر بما يتفق مع أعمالهم أثناء حياتهم، والذي يقود النفوس الصالحة إلى الجنة، ويرمي بالنفوس الشريرة في هاوية الجحيم، إنه يرى شنتو هيراتا أي مجموعة المعتقدات المختلفة من المسيحية والشنتو على أنها الأيديولوجية المشجعة لحركة السنّو Sonno (حركة تبجيل الإمبراطور) من أواخر عهد توكوغاوا (Tukugawa)، كما هو جلي أيضاً لدي الشاعر

شيمازاكي توسون (Shimazaki Toson) في ديوانه قبل شروق الشمس "Yoakemae" فضلاً عن ذلك يتمسك إيشيدا بأن نفس معتقدات شنتو هيراتا تلك قد أضحت مرتبطة بحركة تايكيو سيمبو (Taikyo Sempu) في أوائل عهد ميجي (Meiji) وبشنتو الدولة من النصف الأخير من تلك الفترة[6]. (Kami 128f)

يرى إيشيدا إيتشيرو، حتى الآن، تحولاً توحيدياً ملحوظاً في فكر الشنتو في المراحل الأولى من التأثير الغربي بالذات على العالم الديني الياباني، لكن باحثاً آخر هو ساساكي كيوشي (Sasaki Kiyoshi) يعرب عن شكوكه بشأن الخط الفكري عند إيشيدا، وتركز المناقشة على قضيتين: أولهما تتعلق بالتأثير المسيحي في تفكير هيراتا، أما القضية الأخرى فتنطوي على السؤال فيما إذا أثرت أيضاً أفكار هيراتا المتأثرة بالمسيحية على حركة تايكو سيمبو، ويقر ساساكي بإمكانية وجود تأثير مسيحي توحيدي على تلك الحركة المحدثة القائمة على أساس الشنتو، لكنه يعبر عن الشك بشأن ارتباطها بتفكير هيراتا أتسوتانيه، إذ يعتبر ساساكي مفهوم الإله الخالق في أوائل حركة (Meiji Taikyo Sempu) تحريفاً لفكر هيراتا[7].

أنا لا أشير إلى هذه المناقشة كي أتخذ موقفا من قضية التأثير الملموسة؛ إنني أهدف فقط إلى إبراز ما يبدو لا معقولاً في إغفال التأثير المسيحي على فكر الشنتو خلال فترة التحديث اليابانية، لكن على المرء أن يكون محنكاً عندما يبين درجة هذا التأثير وصفة قبول الشنتو له، بعبارة أخرى يعتبر تبيان الكيفية التي قبلت بها ديانة الشنتو التأثير وتفاعلها معه قضية صعبة.

أجدني في هذا البحث مهتماً اهتماماً خاصاً في رؤية الكيفية التي عرضت فيها تقاليد ومظاهر الشنتو أنماطاً متنوعة من المواقف أو نقاط التركيز التوحيدية، ترى أي نمط من التوحيد يرشد فكر هيراتا أتسوتانيه وحركة تايكو سيمبو؟

إنني أميل إلى رؤية التوحيد عند هيراتا أتسوتانيه وكذلك التوحيد عند حركة تايكو سيمبو على أنه "توحيد شمولي"، فقد تم الإقرار بالعديد من الآلهة، لكن التركيز التوحيدي أدى إلى رفع تراتبي لآلهة واحدة معينة، مثل الإله أمينوميناكانوشي – نو – كامي (Amenominakanushi)، وتعتبر عملية التفاعل مع المسيحية مسألة مثيرة للاهتمام، ومع ذلك فإنني أجد أن ما يعتبر أكثر أهمية في هذا الصدد، هو الإشارة إلى الصفة الشمولية للتوحيد والتي برزت في سياقات ديانة الشنتو، مهما كانت العلاقة مع العوامل التاريخية الأولى أو المعاصرة، وفيما إذا كان هناك احتمال في أن تكون العوامل الخارجية (المسيحية) أو العوامل الداخلية (التقاليد القديمة لفكر الشنتو) على نفس

الدرجة من الأهمية.

هناك فكرة مماثلة ستواكب مناقشة بُعد شمولي universal ممكن للتوحيد الفعلي، لا يمكن استبعاد الأفكار الجامعةuniversal حول الخالق على أنها ليست ذات صلة بالموضوع، فقد كانت موجودة في تعابير فكر الشنتو المشار إليه، لكن السؤال هو فيما إذا كان على المرء أن يعتبر بأن مفهوماً "ضيقاً" للإله الجامع هو مفهوم مناسب، مع أن ديانة الشنتو ركزت في عصر التوسع الاجتماعي الديني (عصر كئيو Keio ، وعصر ميجي Meiji ، وعصر تايشو Taisho ، وبداية عصر شووا Showa) علـــى الإمبراطور كمبـــدأ كونـــي، مطورة بذلك نظاماً توحيدياً جامعاً؛ إلا أن هناك محدوديات في الخلفية القومية_الإثنية التي تدعم فكرة "التوحيد الضيق"، ومع ذلك فإني أتساءل فيما إذا لم يكن لهذا التوحيد الضيق أن يُرى على أنه "يصبح عالميا universal in becoming" ومن ثم يستحق أن يطلق عليه تعبير التوحيد.

التوحيد في الفترة الأولى لما بعد الحرب العالمية الثانية في مفهوم البروفيسور نوغوتشي Noguchi وهيئات الشنتو.

اتخذ التطور الحاصل لمزارات الشنتو في الفترة الأولى لما بعد الحرب موقفاً جديداً وملحوظاً من التوحيد، خلافاً للشنتو "التوسعية" المذكورة أعلاه فإن التطور الحاصل في الفترة الأولى لما بعد الحرب على التوحيد عند الشنتو قد أضحى أكثر اعتدالاً وتحديداً في الاصطلاحات المذكورة أعلاه التي "ضيقت" بشكل أكبر البعد الجامع للتوحيد، "من المثير للاهتمام بهذا الخصوص النظر إلى فكر الفيلسوف نوغوتشي تسونيكي (Noguchi Tsuneki) الذي ينتمي إلى جامعة إيسيه كوغاكّان (Ise Kogakkan Daigaku) في كتابه (Gendai ni okeru nanji no hakken–ware nanji tetsugaku no kenkyu) (الاكتشاف المعاصر لـــ (أنت) _ وهي دراسة لفلسفة أنا_أنت)[8]. ينخرط الكاتب هنا في مقابلة جادة مع اللاهوت الغربي والفلسفة الغربية، مع الإقرار بالصعوبات وبالمواجهات المعاصرة الحادة بين ديانة الشنتو والمسيحية اليابانية، إلى درجة أن الحوار يبدو متصلباً لا يلين[9]، إلا أنه مع ذلك يرى خيارات من أجل لقاء مثمر مع علم اللاهوت الدياليكتيكي (الجدلي) الغربي الحالي. لا بل يستلهم، كما يكشف عنوان الكتاب، إلى حد كبير المفكر اليهودي مارتين بوبير. لكنه ينخرط أيضاً في لقاء إيجابي مع علماء اللاهوت المسيحيين إميل برنر وكارل بارث وفريدريك غوغارتن وفرديناند إيبنر وسواهم. وهو يبين بأنه كما أن ديانة الشنتو قد طورت ســـابقاً وبطريقة خلاقة حجمـــاً من الفكـــر من جراء لقائها مع البوذية (Unden Shinto) والكونفوشية، (Suika Shinto) فإن هناك حالياً في رأيه فرصاً

واعدة في ملاقاة الفكر المسيحي[10]. ارتباطاً بالأفكار الغربية المعاصرة فهو يجد ملامح مشتركة في تفكير فلسفة أنا_أنت في التقاليد المسيحية اليهودية وفي فكر الشنتو، ويظهر هذا التشابه بشكل خاص في العلاقة القائمة ما بين البشر والله. لكن اللقاء البشري_الإلهي في الشنتو يتخذ شكلاً مميزاً، كما تمت الإشارة إلى ذلك في المرسوم الإمبراطوري المتعلق بالتعليم والذي نشر رسمياً في فترة ميجي (Meiji) (1890). إنه يتمسك، تماشياً مع الإجلال للفتح الذي حققته ديانة الشنتو الحديثة في فترة ميجي (Meiji)، بأن على اليابانيين أن تقودهم تقاليدهم الدينية القديمة، التي تعود إلى ألفيات عدة إلى مقابلة المولى الأسمى الذي هو إمبراطورهم[11].

لا يطرح نوغوتشي جانباً عبادات الشنتو المتنوعة التي تجري في مقامات مختلفة للشنتو. فتلك المجموعة المنوعة من العبادات لا تحدث تشويشاً؛ لا يلغي الإخلاص للإمبراطور إجلالنا للآلهة المختلفة. لكن المعيار الأسمى في الالتزام والإخلاص، بالنسبة للشعب الياباني، يكمن، وفقاً لتفسير نوغوتشي لديانة الشنتو، في الإمبراطور. فهناك متسع طبيعي لإجلال متعدد للآلهة يتم إخضاعه لعبادة المولى الأسمى. وهكذا يمكن للمرء أن يرى طريقته في التفكير، من ناحية ما، على أنها تعبير نموذجي عن "توحيد شمولي". لا يعتبر نوغوتشي، على ما يبدو في الكتاب المشار إليه، داعماً لتوحيدٍ جامع عند الشنتو universal Shinto monotheism فليس هناك توقع، على سبيل المثال، بأن يترتب على شعوب ومجموعات إثنية قومية أو مجتمعات دينية أخرى إجلال الإمبراطور على أنه مولاهم الأعلى، إذ يعتبر توقع نوغوتشي للإخلاص التوحيدي المتمحور حول الإمبراطور موجهاً بشكل صريح نحو الشعب الياباني (kokumin) تُرى هل لم تعد نصب عينيه العمومية التوحيدية monotheist universality لفكر الشنتو الحديث في فتراته المبكرة أو فترة ما قبل الحرب ؟

القضية ليست كذلك على حد معرفتي بنوغوتشي، ففي الكتاب الذي أشرت إليه يتخذ نوغوتشي موقف (أنا – أنت ware-nanji) الأساسي الذي يمثل ظاهرة كونية جامعة تنطوي أيضاً على الموقف مما هو إلهي، ويسميه نوغوتشي بصيرة الشنتو (الشنتو الكبرى Shintotaii)[12]. لكن هذا يعني بأن فهمه للإمبراطور المتمركز حول اليابان يتناسق بالفعل مع علاقة فلسفة أنا_أنت (ware-nanji) الجامعة، ففي علاقة فلسفة أنا_أنت هناك متسع كوني جامع أو فئة من المفاهيم يصبح إجلال الإمبراطور بواسطتها إجلالاً كونيا جامعاً، لكن لا يمكن تسميتها تعميماً للإمبراطور بنفس الطريقة التي يعمم فيها الله في اليهودية والمسيحية والإسلام من حيث اعتبار الله إله الكون، ومع هذا فالتوحيد عند الشنتو لا يقف عند حدود الأمة اليابانية، فهو يمتد بواسطة بنية جامعة في سائر أنحاء العالم، يمكن أن يرى معتقده بخلاص كل البشر على أنه "تعميم متنامٍ"، تعميم وشيك

للإمبراطور، وبهذا يكون مؤهلاً لما أطلقت أنا عليه أعلاه تعبير "التوحيد الضيق".

من الجدير بالذكر إلى حد كبير أن الشنتو في بداية فترة ميجي (Meiji) قد طورت تعددية من هيكليات الشنتو، كانت متحدة، تحت مظلة شنتو الدولة (Kokka Shinto)، في إجلال عام للإمبراطور على أنه المولى الأسمى، ومع خلع الإمبراطور عن عرش السلطة العليا بحد ذاتها وتحوله إلى رمز يمثل دولة ديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية أظهرت تعددية جديدة للشنتو أنماطاً مختلفة، مثل المزارات الدينية المفردة، وشنتو الوحدات الاجتماعية Shaka Shinto والشنتو الأكاديمية Gakusha Shinto والمنظمات المرتبطة بالشنتو Kyou-kai Shinto مثل: تينريكيو (Tenrikio) وكونكوكيو (Konkokyo) والحركات المرتبطة بها ارتباطاً حميماً مثل حركة أوموتو كيو (Omotokyo) وحركة سيئتشي نو إيئيه (Seicho no Ie) وحركة ماهيكاري (Mahikari). إن البنية الأكثر تمثيلاً موجودة في شنتو المزارات Shrine Shinto الحالي الذي يشارك القسم الأعظم فيه في شبكة جينجا هونتشو (Jinja Honcho) المهيمنة. وقد برزت قاعدة ديانة الشنتو الجديدة هذه بعد أن كان مرسوم الشنتو (Shinto Shirei) الذي نشر للعمل به رسمياً من قبل GHQ في 15 ديسمبر/كانون الأول من عام 1945 قد أزال شنتو الإمبراطور Imperial Shinto من الكيان القومي لشنتوالدولة State Shinto وحينئذ "أطلقت حرية" هيئات الشنتو المتنوعة لتقوم بتعريف نفسها كمنظمات دينية مستقلة، ومع هذا تتمسك جنجا هونتشو (Jinja Honcho) بالتعريف بالإمبراطور؛ فالمؤمنون بالشنتو مدعوون "لقبول رغبة الإمبراطور ومشيئته بامتنان." [13] تختلف عقيدة الإيمان بخلاص كل البشر في ديانة الشنتو الديمقراطية المتعددة الثوابت والإثنيات والأجناس هذه، من حيث نوعها، عن الأفكار الجامعة حول الإمبراطور الآتية من يابان ما قبل الحرب وفترة الحرب العالمية الثانية، لكن الخيار المعمم أو الجامع مازال معمولاً به، وقد انتشرت أنماط متنوعة من الشنتو في جميع أنحاء العالم قائمة على بنى ديمقراطية، وعودة إلى التأمل في فكر نوغوتشي المذكور أعلاه نجد أن أفكاره حول ديانة الشنتو، و"توحيدها الشمولي" وكذلك "توحيدها الضيق" الديمقراطي يجعلها متوازية أيضاً بالعديد من الهيئات الشنتوية المذكورة أعلاه، بما في ذلك شنتو الجنجا هونتشو (Jinja Honcho).

ديانة الشنتو في سياق من العولمة: شنتو ما بعد الحداثة

استمرت ديانة شنتو ما بعد الحرب في تطوير علاقات، بطرق متنوعة، مع التقاليد الدينية الغربية دون الاقتصار على المسيحية، يقدم عمل معهد الثقافة والكلاسيكيات اليابانية في جامعة كوكوغاكوين (Kokugakuin) في طوكيو مثالاً على ذلك من السنوات القريبة العهد، يتناول

المؤتمر الذي عقدته الجامعة حول العولمة وثقافة أهل البلاد الأصليين في عام 1996 في طوكيو، الجوانب الحيوية في الشنتو اليابانية في حوار مع تقاليد آسيوية وكذلك مع تقاليد أوروبية متنوعة، إن ما يثير الاهتمام بشكلٍ كافٍ هو تركيز هذا المؤتمر على ثلاثة أبعاد هي: الدين واللغة والأسرة، ففي سياق مشكلة التوحيد، يؤمّن التركيز على الدين والأسرة بشكل خاص أبعاداً تتعلق بالمشكلة التي تطغى في هذا المقال، يخرج المؤتمر بالتحذير من "إفراغ النص من سياقه". هذا يعني بأن هناك تحدٍّ لتقاليد كونفوشيوس التي حكمت حياة العائلة اليابانية والحياة القومية، بما في ذلك العلاقات مع الإمبراطور، وبما أن الأديان واللغات وحتى التقاليد العائلية تخضع لعمليات كونية من "إفراغ النص من سياقه" يمكن صياغة السؤال على هذا النحو "كيف يؤثر "إفراغ النص من سياقه" على التوحيد في ديانة الشنتو، هذا التوحيد الذي رأى فيه (نوغوتشي) ظاهرة يابانية تتصف بسياق ما بعد الحرب؟" لا يعطي المؤتمر الذي تم برعاية جامعة كوكوغاكوين الشنتوية (Shinto Kokugakuin Daigaku) أي جواب محدد، هل ينطوي ذلك على أن "التوحيد الضيق" عند الشنتو، وهو النمط الذي وضحه تقليد tradition استمر من هيراتا إلى نوغوتشي، وهو تقليد لا يستمر في الارتباط بصراحة لا بالإمبراطور ولا بالشعب الياباني كوحدة قومية (kokumin)؟ إن كان الأمر كذلك فقد ينطوي ذلك على أن أنماطاً من ديانة الشنتو اليابانية أكثر مرونة تبرز في اليابان و في الخارج ، ويتعلق بها أناس من خلفيات إثنية وقومية متنوعة، وقد ينضم هؤلاء المتعاطفين أو المهتدين إلى ديانة الشنتو القادمين من خلفيات متنوعة، إلى جمعيات ومجموعات، أو يقومون بدعم توحيد للشنتو ذي طبيعة شمولية على صعيد فردي، وليس هناك من تطور في ديانة الشنتو لإزالة التكامل أو التنسيق بين عقائد الشنتو المتنوعة، إن تشديد ما بعد الحرب على التعددية المتواجدة في آنٍ واحدٍ يعزز ببساطة التنسيق مع العقائد البديلة، ويمكن للمرء أن يشكك بالأحرى في بُعد "التوحيد الضيق"، وأما البعد الجامع فقد أصبح ضعيفاً بشكل ملحوظ على أي حال[14]. تُرى هل يقود اختفاء المفهوم الجامع كمفهوم الإمبراطور وظهور الحالة التعددية الكاملة لما بعد الحداثة بالفعل إلى الابتعاد عن "التوحيد الضيق" والتوجه نحو شركٍ جديد؟ هل يمكن لتعلق مجموعات مرتبطة بالشنتو ارتباطاً متسيباً أن تُوجَّه نحو الإمبراطور الياباني أو نحو ما يتفرع عن الإمبراطور بحيث تضيع العمومية؟

ليس من المألوف اليوم تعريف ديانة الشنتو على أنها إيمان توحيدي. يعتبر أويدا كنجي Ueda Kenji العلامة البارز في شؤون الشنتو، أن ديانة الشنتو هي ديانة مشركة فهو يجد شيئاً مقدساً في كل كائن معين، والآن لو ترك كل شيء بحاله فسوف يتهاوى بفوضى وتشويش كما أن مجادلات الشنتو المحبذة لوجود مركز موحد لم تختف بعد[15]، وهكذا يتابع أويدا كنجي ليرى

مركزاً موحداً لعبادات الشنتو الرئيسة في إلهة الشمس أماتيراسو (Amaterasu) وسلالتها، إن أماتيراسو هي صفة التكامل الإلهية المركزية، وهي تذكِّر بشكل ملحوظ بنمط تجاوزي من "التوحيد الضيق". إلا أن هناك محدودية في هذا التكامل. لا يُشرّع إله الشنتو، وفقاً لتفسير نورمان هيفن[16]، عملاً اجتماعياً، فآلهة الشنتو لا تمتلك هذه الصفة _ يعثر على التقنين أو التشريع في "تراتبية النظام الاجتماعي الياباني". اتباعاً لتعليقات نورمان هيفن يمكنني أن أعبر عن ذلك بالكلمات التالية: إن اليابان الديمقراطية بعد الحرب بإمبراطورها الذي جعل ديمقراطيا تفتقد إلى مركز ديناميكي للتعميم كان يؤمنه في السابق الإمبراطور، المتجسد في البنية الاجتماعية اليابانية، وهنا نجد اختلافا كبيراً بين ديانة الشنتو في الفترات الباكرة من التحديث (هيراتا أتسوتاني وديانة الشنتو التي سبقت عام 1945م) وبين ديانة الشنتو الحديثة القريبة العهد، إذ جرى إضعاف كبير للدور المعهود لإمبراطور جامع من أجل حياة وسلوك قوميين إلى حد ملموس، وربما دخل هذا الدور في طور الزوال.

قد يرى الوضع على النحو التالي: ليست أماتيراسو (Amaterasu) _أو أي ذات إلهية أخرى_ بحد ذاتها هي السلطة النهائية في ديانة الشنتو، إذ تحتاج هذه السلطة إلى قوة ذاتية الكينونة _ كانت على مدى السنين الممتدة حتى عام 1945م متماهية مع الإمبراطور وما يرتبط به، وقد قنّن الإمبراطور سلطة عملت خلال السنوات الممتدة مابين 1890م وحتى 1945م بشكل متزايد كذروة توحيدية ذات طبيعة جامعة، وكان هذا التوحيد ذا طبيعة شمولية، لكنه كان يضم ملامح جامعة بشكل واضح، وبعد عام 1945م يصبح الولاء للإمبراطور خياراً فردياً حتى في ديانة الشنتو، تدافع رابطة مزارات الشنتو (جنجا هونتشو) من أجل قبول روحي لذهن الأباطرة[17]. مثّل فلاسفة في ديانة الشنتو من أمثال نوغوتشي وعدد من منظمات الشنتو نوعاً ما من التوحيد "الجامع الضيق" الذي تقلص بشكل أكبر تحت تأثير العولمة، يجل شينتو إيزومو Izumo وشينتو إيناري Inari آلهتهما المختلفة الفائقة السمو، بينما تحتفظ المنظمات المرتبطة بالشنتو مثل تينريكيو وكونكوكيو وأوموتو بنوع من نظام الإمبراطور، لكنها لا تعرب عن الولاء للإمبراطور المتقلد للمنصب الديني حيث يبقى الولاء ضمن السلطة التنظيمية للدين أو المزار ذاته، ولا شك أن هذه الوحدات المتنوعة من شنتو ما بعد الحرب القريبة العهد تعرض أشكالاً معينة من "التوحيد الشمولي"، لكن هل مازال بالوسع تسميتها توحيداً بمعنى النمط الضيق من التوحيد الصحيح على الصعيد العام؟ لقد أزيلت العمومية اليوم بالتأكيد من دلالات نظام شنتو الإمبراطور الذي تعترف به الدولة، لكنني لا أرغب في رؤية ديانة الشنتو الحديثة القريبة العهد في تعدديتها على أنها "شرك غير عام"، أليس هناك في العديد من الهيئات المتنوعة من ديانة الشنتو المعاصرة عمومية في

الإيمان (universality of faith)؟ قد تكون "ضيقة" لكن تدويل وتوسيع العديد من المجموعات يدلان على حيوية المفاهيم الجامعة universal concepts.

الخاتمة

إن إلقاء نظرة على ملامح من الشنتو في اليابان الحديثة، يكشف أولاً عن شنتو تحاول تحطيم صورتها وصفتها اللتين تتسمان بالشرك لتحل محلها شنتو مرتبطة بالإمبراطور مع توحيد شمولي بشكل ملحوظ، وتعمل القوة الإلهية العليا إلى حد ما بواسطة التعاون، ومن جانب آخر بقمع القوى الكونية الأخرى، ومن هنا فإن ديانة الشنتو هذه تختلف بوضوح عن التوحيد الغربي اليهودي الإسلامي ، الذي يتصف بصفة حصرية، وقد برز خلال السنوات الواقعة مابين 1890م وعام 1945م توحيد جامع يتمحور حول الإمبراطور، متخذاً شكل "توحيد ضيق" مع قدرة كامنة جامعة واضحة، لقد حافظت ديانة الشنتو بخلفيتها القانونية المستمدة من مرسوم الشنتو الصادر عام 1945م على "توحيدها الشمولي". وقد أدى جعل إجلال الإمبراطور أمراً خاصاً يعود للفرد إلى عمومية مخفضة للشنتو، خفضت إلى حد ما إلى قاعدة معيارية من أجل الشعب الياباني (CP Noguchi)، مع دلالة جامعة عامة، "إيمان ضيق بخلاص كل البشر". إن نشوء عبادات متعددة من الشنتو بتوحيد مختلف التوجه في الشمولية قد أخضع مؤخراً لموجة عامة من العولمة، ويطمس هذا التطور الفهم التقليدي "للإمبراطور" كرمز جامع أو قومي، ويؤدي إلى شنتو فردية تتضمن سلطتها مزيجاً مختلفاً من العناصر في نظام يتمركز حول الإمبراطور. ومع الاحتفاظ بتوحيد شمولي، تتخذ ديانة شنتو مابعد الحداثة صفة فردية متنوعة، فهي تتجاوز حدود الجنسية اليابانية لذلك فأنا ما زلت أجد بأن التوحيد الجامع "الضيق" قد تم استبقاؤه. إن ديانة الشنتو الجديدة ليست مشركة، إلا أن طموحاتها العالمية قد حُولت بشكل بحت إلى مستوى روحي فردي، وقد مر أوتشيمورا كانزو بتجربة الشنتو قبل قرن من الزمان على أنها خبرة مشركة مزعجة، وليس هناك من سبب يدعو إلى الشك بصدق خبرته وفكره، لكن كانت هناك، في رأيي، ديانة شنتو توحيدية في زمانه، وقد بدلت صفتها لاحقاً، ولكن على الشنتو أن تُرى، بالأحرى، في رأيي، على أنها زمرة من "العقائد الدينية التوحيدية الشمولية الضيقة".

الحواشي والتعليقات:

1- Uchimura 1895/1971: 22ff.

2- Uchimara 1895/1971: 28ff.

3- يقترب "التوحيد الضيق" من مفهوم "عبادة الإله الواحد". إلا أنني أجد بالفعل أن مفهوم "عبادة الإله الواحد" لا يفي بالغرض نظراً لوجود إدراك لما هو جامع في التوحيد الضيق،فعندما تم إدخال ديانة الشنتو اليابانية في شرق آسيا خلال حرب الباسيفيكي، كانت هذه الديانة مترافقة في الواقع مع فكرة ديانة شنتو جامعة في اللياقة. ربما يتم تأسيس ديانة الشنتو الجامعة هذه في مآل الأمر في أجزاء واسعة من العالم بحيث تسنحق إطلاق صفة الديانة "الجامعة" Universal عليها.

4- يمكن أن تقدم ديانة الشنتو الرسمية خلال فترة شووا وحتى الحرب العالمية الثانية مثلاً على ذلك، فقد ارتبط إجلال الإمبراطور بشكل أساسي بالأمة اليابانية، لكن كان من المفترض امتداد الإجلال إلى نطاق الازدهار المشترك في شرق آسيا، وهو الأوسع في مآل الأمر، وكان الكون برمته بمتناول الصفة الجامعة universal للإمبراطور.

5- Nobutaka 1998: 128ff.

6- Nobutaka 1998: 128ff.

7- Nobutaka 1998: 129.

8- Noguchi 1971.

9- Noguchi 1971: 372.

10- Noguchi 1971: 375.

11- Noguchi 1971: 370-375.

12- Noguchi 1971: 1§ 82.

13- Havens 1998: 241.

14- قد يكون من المناسب في هذا الصدد إدراج قائمة بعبادات مزار الشنتو والأديان الجديدة ذات الصلة بالشنتو؛ أي أوموتو وسيتشونو إيئيه أو حركة الماهيكاري المنتشرة على الصعيد العالمي، تمت معالجة الموضوع من جانب نابوتاكا إينوي في The Publication Nobutaka 1997م.

15- Havens 1998: 239ff.

16- Havens 1998: 240.

17- See “Three Principles of a Reverent Life”. Issued by Jinja Honcho in 1950, Havens 1998: 241.